وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى ثم سيأتي في كلام المصنف ما يقتضي ذلك
ويخالف ما ذكره هنا وقد اعترض على هذه القاعدة بأن صلوات الله تعالى على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أتم من الصلاة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم في قوله
عليه الصلاة والسلام قولوا اللهم صل على محمد وأجيب عنه بأجوبة مشهورة تقتضي
تسليم هذه القاعدة وكذلك عيب على البحتري في قوله

على باب قنسرين والليل لاطخ ... جوانبه من ظلمة بمداد

فان المراد تبكيت فاقد السواد للنفس بخلاف الليل فان سواده أبلغ
وهذا ليس تشبيهًا لفظيًا هو استعارة ومنها أن يقصد تزيين المشبه في نفس
السامع ترغيبا فيه كتشبيه وجه أسود بمقلة الظبي ومنها أن يقصد تشويهه
كتشبيه وجه المجدور أي الذي عليه آثار الجدري بسلحة جامدة قد نقرتها
الديكة وإلى الوجهين أشار ابن الرومي بقوله

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن تعب قلت ذا قيء الزنابير

ومنها أن يقصد استطراف المشبه كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه
الذهب لإبرازه أي إبراز المشبه في صورة الممتنع عادة وهذا من المصنف
يقتضي أن كل تشبيه كان المشبه به فيه خياليا أو وهميا من هذا القسم ثم قال المصنف
وللاستطراف وجه آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن إما
مطلقًا كما في التشبيه ببحر من مسك فإنه نادر مطلقًا لكونه لا وجود له في الخارج
لا يقال هذا هو القسم الأول لأنا نقول هو سبب آخر يجامع السبب السابق
في مثاله فحينئذ يكون القسم السابق مستطرفا باعتبارين لإيراد المشبه به في الذهن
عند حضور المشبه أي لندرة استحضار المشبه به حال استحضار المشبه كقوله في تشبيه
بنفسجة

ولازوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت

فإن اتصال النار بالكبريت لا يندر في الذهن إنما يندر حضوره عند حضور صورة
البنفسج فإذا احضر مع صحة التشبيه استطرف ومنه قولي

بروحي لعين كان ابيض روضه ... تلم أصاب من الدواة مدادها

وكذلك

٦٢

وكذلك كل تشبيه غريب وقد يعود إلى المشبه إلى آخره أي قد
يكون الغرض من التشبيه عائدًا إلى المشبه به وذلك قسمان أحدهما وهو الغالب
أن يقصد إيهام أنه أي أن المشبه به لفظيًا وهو الذي كان في الأصل مشبهًا أتم من
وجه الشبه من المشبه وذلك في التشبيه المقلوب والمعنى يكون مقلوبًا أن يجعل
ما للوجه فيه أتم مشبهًا ليتوهم السامع أن المشبه أتم في الوجه من المشبه به اعتمادًا
على القاعدة من كون الوجه في المشبه به أتم ويكون الأمر بالعكس والتشبيه المقلوب
سماه ابن الأثير في كنز البلاغة عليه الفروع على الأصول كقول محمد بن وهيب

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

فإنه قصد أن الخليفة أتم نورًا من الصباح وإنما كان هذا التشبيه مقلوبًا
لأنه علم أن مقصود الشاعر منه تشبيه الخليفة بالصباح لا العكس ولا ينافي
هذا ما قلناه من أن تشبيه الليل بالشعر فإنه يكون مقلوبًا فإنه ليس من
التشبيه المقلوب قوله وأرض كأخلاق الكرام قطعتها

وقد كحل الليل السماك فأبصرا ولیس منه قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح وإن كان نوره أتم من المشكاة لأن المقصود تشبيه ما لم يعلمه البشر
بما علموه لكون المشكاة في الذهن أوضح وقد يكون الأتم في المشبه به باعتبار
الوضوح ويوهم أنه ليس بين نوره تعالى وبين نور المشكاة اشتراك في القوة
والضعف يقتضي أن أحدهما أتم في نفس الحقيقة فإنما هو باعتبار الوضوح
ومن التشبيه المقلوب قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا فإن
المقصود في الأصل أنهم جعلوا الربا كالبيع فقلبت مبالغة فيه زعمًا أن الربا
أولى بالحل من البيع وقال الإمام فخر الدين في تفسيره إنه لما تساوى عندهم
البيع والربا كان البيع مثل الربا وعكسه سواء معنى هذا أنه مما أصل
التشابه واستعمل فيه صيغة التشبيه كما سيأتي فلا يكون مما نحن فيه وجعله
ابن المنير في الانتصاف وكذلك قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود الزجر عن
تشبيه غير الخالق بالخالق وإلى غير في قوله تعالى كمن لا يخلق إما للمشاكلة وإما لأن
المراد الأصنام والإرادة ذوي العلم ممن عبد لبعلم غيره من باب الأولى.

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1